

الدلالة الرمزية للصورة السينمائية: مقارنة سيميولوجية لفيلم "الشيخ العجوز والبحر"

The Symbolic Significance of the Cinematic Image
A Semiotic Approach to "The Old Man and the Sea"

د. نوري بن حنيش

جامعة الجلفة، الجزائر، nozah79@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/05

تاريخ القبول: 2024/11/25

تاريخ الاستلام: 2024/09/28

الملخص:

نتطلع من خلال هذه الورقة البحثية الى استقراء معالم ودلالات الصورة السينمائية باعتبارها إحدى العلامات البصرية التي يقوم عليها الفيلم السينمائي، والتي تسعى عدسة الكاميرا الى حياكتها واستنطاقها عبر ما تتضمنه من إشارات وأيقونات تترجم قيمة ومضمون الفيلم عبر رسائل بصرية تزفها الى المتلقي في لقطات وصور ومشاهد، وقد كان الفيلم السينمائي "الشيخ العجوز والبحر" إحدى الأفلام الغنية بمضامينه ودلالاته، ورسائله المشفرة النابعة عن نفس مثقلة أرهقتها متاعب الطبيعة والحياة مثلما تسوقها لنا صورة الشخصية الرئيسية "سانتياجو"، متتبعين في ذلك أسلوب "مارتين جولي" في تحليل الصورة السينمائية من خلال المستوى التعيين والمستوى التضميني لفك الشفرات الفلسفية العميقة المرتسمة على الجو العام وملامح الشخصيات التي ترصدها عدسات الكاميرا عبر محطات الفيلم.

كلمات مفتاحية: الرمز، الصورة، الدلالة، البحر، الفيلم.

Abstract:

Through this research paper, we aim to explore the features and connotations of the cinematic image as one of the visual signs that the film is based on, which the camera lens seeks to weave and articulate through the signs and icons it contains, translating the value and content of the film through visual messages delivered to the recipient in shots, images, and scenes. The film "The Old Man and the Sea" was one of the films rich in its themes, connotations, and encrypted messages emanating from a burdened soul wearied by the hardships of nature and life as conveyed by the image of the main character Santiago. In doing so, we follow Martin Gaulier's approach in analyzing the cinematic image through the levels of denotation and connotation to decipher the deep philosophical codes drawn on the general atmosphere and the features of the characters captured by the camera lenses throughout the film.

Keywords: symbol; image; significance; sea; film.

مقدمة:

يعتبر الفن السينمائي من أرقى الفنون تعبيراً عن إنسانية الإنسان، بما تحمله من نوازع داخلية وعواطف نفسية وأفكار إيديولوجية، وقضايا اجتماعية، وذلك في قالب فني جمالي تعمل على تشكيله عديد العناصر الفنية، انطلاقاً من فكرة الكاتب (السيناريست) الى عدسة المصور، وهندسة المخرج عبر زوايا متعددة ولقطات مختلفة وصور معبرة، وغالباً ما تكون هذه الصور مشحونة بالرمز والدلالة لتعبر عن فلسفة الحياة وقيم المجتمع، مثلما هو الشأن في الفيلم السينمائي "الشيخ العجوز والبحر" والذي هو محل دراستنا، لما يحمله من أيقونات ودلالات رمزية كفيلة بجعله إحدى حقول الدراسات النقدية من طرف العديد من النقاد والباحثين.

تهدف هذه الدراسة أساساً الى استقصاء معالم الصورة السينمائية في فيلم "الشيخ العجوز والبحر" والمستلزمة لدلالاتها ورمزياتها وفلسفتها من رواية الكاتب الأمريكي الشهير "ارنست هيمنجواي" لتستكمل عدسة المصور ورؤية المخرج صياغة ما تكتنز عليه الرواية من عمق الفكر والمضمون عبر أفلمة الرواية، لتصبح تحفة فنية تستهوي حشود الجماهير والنقاد والدارسين الذين أسهبوا في تحليل الرواية والفيلم محاولين فك الشفرات التي تزفها إلينا الرسائل البصرية عبر صور ولقطات الفيلم.

إن حيثيات ومختلف مكونات الصورة بما تحمله من علامات، تضعنا أمام إشكالية محورية تحوي في طياتها القيمة الفلسفية للفيلم واللغز الذي تنضوي تحته رموز الصورة لسينمائية، مستدعية آليات وأساليب تحليل الصورة وتفكيكها لاستقراء مضامينها المختلفة، مما يحيلنا على عدة تساؤلات فرعية أهمها:

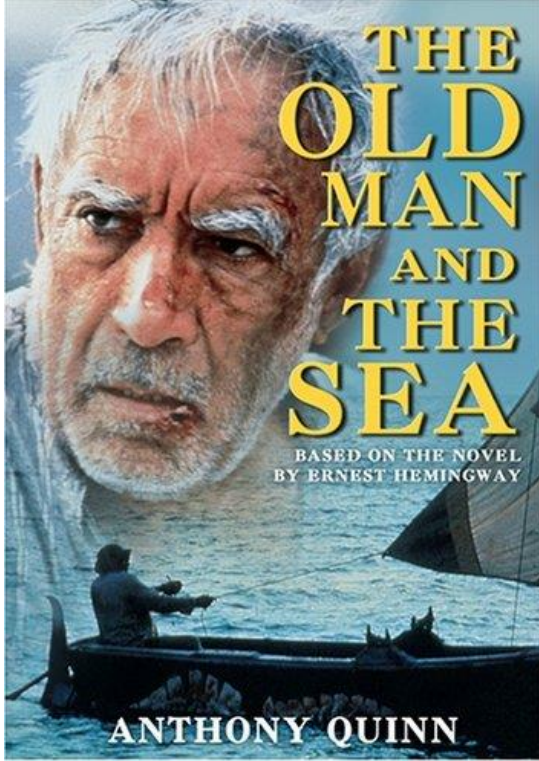
. ما مدى تعاطي الصورة السينمائية مع المضمون الفكري في الفيلم؟

. ما هي الأساليب المثلى لتحليل الصورة السينمائية؟

. الى أي مدى يمكن للصورة السينمائية احتواء أيقونات رمزية والتعبير عنها في رسائل بصرية؟

ومن أجل فك طلاسم هذه الإشكالية عمدنا الى مقارنة سيميولوجية، تستند خصوصاً على أسلوب "مارتين جولي" في تحليل الصورة، محاولين تبين المستويين التعييني والتضميني وما لهما من أثر في تأويل وقراءة وتحليل شفرات الرموز والدلالات التي تتضمنها بعض الصور التي ساقها لنا فيلم "الشيخ العجوز والبحر"

1. البطاقة التقنية للفيلم: العجوز والبحر (1958)



- الصنف الفني : دراما

- تاريخ الصدور : 1958 .

- مدة العرض 86 دقيقة.

- اللغة الأصلية : الانجليزية.

- المصدر : مأخوذ عن رواية الشيخ والبحر.

- البلد : الولايات المتحدة الأمريكية.

- موقع التصوير : البيرو.

أ - الطاقم

- المخرج : جون ستورجس.

- البطولة : أنطونيو كوين.

- السيناريو : بيتر فيرتل.

- الراوي : سبينسر تريسي.

- الديكور : ادوارد كرير.

- التصوير : جيمس وونغ هاو، فلويد كروسبي، لامار بورين.

- الموسيقى : ديمتري توامكين.

- التركيب : آرثر بي شميث.

ب - صناعة سينمائية

- الشركة المنتجة : وارنر برونرز.

- المنتج : لابلاند هايوارد.

- التوزيع : وارنر برونرز.

- الميزانية : 5 مليون دولار.

ج - الجوائز

- جائزة الأوسكار لأفضل موسيقى تصويرية دراماتيكية أو كوميدية أصلية.

- المجلس الوطني للمراجعة : الأفلام العشرة الأولى.

- جائزة المجلس الوطني للمراجعة لأفضل فيلم. (العلی، 2015)

2. سيناريو الفيلم

سيناريو الفيلم أخذ مقتبس من رواية همنغواي "الشيخ والبحر" الحاصلة على جائزة نوبل، وقد أدى "ديميتري تيموكين" دور العجوز سنتياجو، وقد دارت أحداث الفيلم حول صراع مريض بين العجوز وأسماك القرش والسمة الضخمة التي اصطادها، حيث يخرج سنتياجو الذي يبلغ من العمر 83 عاما فر رحلة صيد، وابتعد في عمق البحر بعد أن يشعر بالكثير من الإحباط والانكسار، إذ لم يعد قادرا ولا ماهرا كما كان في السابق، ولا يستطيع أن يعترف بذلك أمام الطفل الذي لعب دوره سبنسر ترسي والذي يتعلق به بشدة ويبني معه علاقة قوية وأبوية. يحكي الفيلم الذي تدور أحداثه في الهافانا قصة الصراع الإنساني مع قوى الطبيعة الغامضة، حيث تعود هذه النيمة إلى فترات بعيدة في التاريخ فقد صيغت العديد من القصص التي تجسد هذا الصراع التقليدي والمستمر والمتجدد بين الإنسان والقوى المجهولة التي تهاجمه.

يفاجأ سنتياجو بأن سمكة ثقيلة جدا وضخمة علقت في صنارته، ويبقى العجوز والسمكة في صراع يستنفذ قواه ولمدة ثلاثة أيام متواصلة ينقطع فيها عن العالم فالعجوز وحيد أمام السمكة والبحر الذي يشبه عينيه الزرقاوين، إذ يقول الراوي في الفيلم: "كل شيء فيه أصبح قديما إلا عينيه اللتان تشبهان البحر لامعتان وبشوشتان"، ويحدث العجوز السمكة قائلا: أيتها السمكة، إنني أحبك واحترمك كثيرا، ولكنني سأصارعك حتى الموت قبل أن ينتهي ذا اليوم.

وحين يهبط الليل يحاول سنتياجو أن يستلقي على الزورق، وقد لف حبل الصنارة على جسده، فيقع في غفوة ويحلم كما اعتاد دائما بالأسود التي تتعارك على الشاطئ أو بالبحر الهادئ دائما، فلم يعد يحلم بالنساء ولا بالعواصف ولا بالسفر.

وبعد ثلاثة أيام متواصلة ينجح سنتياجو في اصطيد السمكة بعد مد وجزر بينه وبين السمكة، وتبدأ المعركة المحورية بين الإرادة والإنسان وروحه المقاومة وبين تلك القوى الجبارة التي تمثلت في القوى الطبيعية، فلا أحد يتنازل عن سعيه للوصول إلى مبتغاه والكل مصمم على إحراز النصر على حساب الآخر وإنهاء المعركة لصالحه بمهارة وقوة وذكاء، وتصميم في الإرادة التي تحدث صورها في مشاهد واقعية متتالية تنقل صور الصراع بين الصياد والسمكة وقوة تصميمه على مواصلة النضال حتى الموت. (العلي، 2015)

3. الرمز والدلالة

الفيلم لا يكاد يخلو من الرموز والعلامات التي ترصدها عدسة المصور عبر لقطات متنوعة ومن عدة زوايا، محاولة إزالة اللبس عن بعض الرسائل الضمنية عبر مشاهد الفيلم، إلا أنه لا يمكن التغافل عن المضمون الفكري والقيمة الأدبية والفلسفية للمنبرع الأصلي للفيلم، والذي يضع عدة تساؤلات على المحك تجعلنا نعيد قراءة

الرواية من جديد، وفي ضوء هذه القراءة، يمكن أن نعيد فهم الرموز التي استخدمها همنغواي في روايته، فنجد أن سنتياجو ومانولين يُمثّلان الشعب الكوبي بطيفيه، الأطفال والشيخ، وهو يسعى لبناء كوبا والنهضة بها. كما يرمز البحر إلى الاقتصاد الكوبي الذي أرهقه تدخل الولايات المتحدة ودعمها للانقلابات وتأجيجها لنيران الصراعات الداخلية. أما الشعب الكوبي فيتجسد في سنتياجو، ببساطته ومعاناته من الأمية ومن ظروف معيشية سيئة تقتدر إلى أدنى مقومات الحياة الكريمة.

يستغرق همنغواي في رسم صورة للرجل الكوبي تتسم بالجهل والسذاجة والافتقار والعيش، ويصف معاناة الكوبيين سنتياجو ومانولين في السعي لتحسين ظروف حياتهما لاستعادة قوة الاقتصاد الكوبي. ثم يختم الرواية بهزيمة الكوبي غير المتعلم والساذج أمام القرش، أو الرجل الأميركي الذي يفوقه بما يملكه من مال وسلاح، ويخطف منه خيارات كوبا المتمثلة في سمكة المانولين. ويدعم هذا التفسير للرواية حقيقة إقامة همنغواي في كوبا في الفترة التي كتب فيها الرواية، قبل اضطراب العلاقات الكوبية الأميركية. (حسناوي، 2019)

4. سيميولوجيا الصورة

1.4. تعريف الصورة

على الرغم من تنوع دلالات كلمة الصورة غير أنها تشير إلى شيء ما وإنتاج موضوع ما قد لا يحيلنا دائما إلى المجال البصري، ولكن يحمل بعض سمات المجال المرئي.. ويعرف أفلاطون الصورة على أنها تلك الانعكاسات التي نراها على سطح الماء أو على سطوح الأجسام اللامعة. (عيسى، 2020)

التعريف السيميولوجي للصورة

يطلق عليه اصطلاحاً (Icon) الأيقون، أي العلامة التي كون فيها العلاقة بين الدال (الصورة أو الموضوع) والمذلول أي (المعنى) قائمة على المشابهة والتماثل والتمثيل. (عيسى، 2020، صفحة 04)

2.4. وظائف الصورة

إن النظر إلى الصورة باعتبارها رسالة بصرية مكونة من أنماط عدة من العلامات يقودنا إلى اعتبارها لغة أي أداة تعبير واتصال وتواصل. (جولي، مدخل إلى تحليل الصورة، 2011)

3.4. وظائف تحليل الصورة

يمكننا تحليل الصورة من إثراء المعرفة والتعلم والتمكن من قراءة وإدراك الرسائل البصرية بشكل فعال. (جولي، مدخل إلى تحليل الصورة، 2011، صفحة 51)

5. سيميولوجيا الصورة في الفيلم

انطلاقاً من مقارنة "مارتين جولي" لتحليل سيميولوجيا الصورة، يمكن أن نستشف مستويين عبر هذه الصورة المعبرة:

أ. المستوى التعيني:

إذا ما اعتبرنا بان المستوى التعيني هو عملية رصد لكل ما تحمله الصورة من خلال العين المجردة، وجرّد أهم الأيقونات والإشارات العلامات التي يتضمنها إطار الصورة، فإننا نلاحظ في خلفية الصورة سماء ملبدة بالغيوم، تتداخل فيها عدة ألوان بين الزرقة والبياض والسوداوية، كما نلاحظ تلاطم المياه

متراوحة بين زرقة البحر وتلاطم المياه، وتتجلى لنا أيضاً شخصية البطل "سنتياجو" على يسار الصورة، وهو يحمل في يده الحربة، الشخصية

ترتدي قبعة بنية اللون، ومعطف طويل ازرق اللون، تعطي زورق خشبي بني اللون، وفي المقابل نلاحظ سمكة المارلين يكسو جسمها اللون الأبيض والأزرق، نلاحظ في أعلى الصورة شريط برتقالي مكتوب عليه باللون الأبيض، ثم في الوسط عنوان الصورة باللون الأبيض والأسود والأحمر، وفي الأسفل شريط آخر برتقالي مكتوب عليه بالأبيض.

على العموم تبدو الصورة غنية من حيث الرموز والأيقونات والرسائل البصرية واللغوية، ويغلب عليها اللون الأزرق، ركزت من حيث التاثير والإطار على العنوان البارز، وشخصية "سنتياجو" وسمكة المارلين، والحربة الموجهة لها، من خلال زاوية التقاط الصورة بطريقة تقريبا سفلية.

ب. المستوى التضميني:

بعد عملية رصد لأهم معالم ومكونات الصورة، يأتي المستوى التضميني لأجل تأويل وتفسير الدلالات الشكلية والأيقونية واللغوية أو اللسانية حسب مقارنة مارتن جولي التي تعتمد أساساً على وصف الصورة، والتي تتخذ شكل مربع تنصدرها من ناحية اليمين صورة سمكة المارلين تقفز عالياً في محاولة مواجهة والدفاع عن النفس، وفي اليسار تواجهها شخصية سنتياجو في محاولة حصارها، وذلك في إطار يبرز قيمة وأهمية الموضوع



من خلال التركيز على زاوية التصوير التحتية لحشد كمية الرعب والصراع التي تحويه الصورة، وحركة سنّياجو التي توحى بحالة التأهب للمواجهة والنيل من فريسته من خلال أداة حادة، تزف لنا الصورة أيضا بعض الرسائل اللغوية الموجودة في الأعلى، والمتمثلة في عنوان الصورة، البارز بشكل كبير وباللون الأبيض بالنسبة لكلمة الشيخ التي تدل على النقاء والعزيمة والإصرار على مجابهة شتى متاعب الحياة من أجل اقتناص لقمة العيش، ثم البحر باللون الأسود، مما يوحي بما يحمله هذا الأخير من مخاطر قد لا يحمد عقباها، ناهيك عن الأسرار التي يحملها في باطنه وكأنه معالم مجهول في عتمة السواد، إطار الصور يغالب عليه اللون الأزرق والذال على زرقة البحر، بينما الأسود يدل على تلبد السماء بالغيوم من حين لآخر، بينما الأبيض الناتج عن ارتطام المياه يوحي بقوة الصراع والمواجهة بين الصياد والسمكة التي تأبى الاستسلام أمام عزيمة وإصرار الصياد.



1.5. هاجس الحيرة

انطلاقاً من الجو العام وزاوية التقاط الصورة، وخلفية الصورة، تتجلى لنا بعض ملامح الدهشة والحيرة وخيبة الأمل المصحوبة بجو سوداوي غائم.

أ. المستوى التعييني:

إثر التدقيق في الصورة، وما يتضمنه إطار الصورة، تتجلى لنا بعض الرسائل الأيقونية والبصرية، التي يمكن إحصاء مكوناتها من خلال النظرة الأولى للصورة، حيث لا يخفى للمتلقى تلك الأيقونات المتضمنة وسط الصورة، والملتقطة من زاوية تصوير عادية، والتي تتبرز لنا شخصية سنّياجو داخل زورقه المحمل بالعديد من أيقونات الصيد في عرض البحر.

ب. المستوى التضميني:

بمجرد عملية فحص في محاولة استقراء معالم الصورة، وتبيان أهم مدلولاتها على طريقة مارتين جولي، تتجلى لنا العديد من الدلالات والرسائل التي تتضمنها الصورة، حيث تظهر لنا للوهلة الأولى شخصية سنّياجو التي أخذت حيزاً معتبراً من الصورة مطأطأ رأسه داخل زورقه في جو من الدهشة والحيرة.

تبدو على سنّياجو آثار التجارب القاسية التي عاصرها في شبابه، فيما كان يخر عباب البحر باحثاً عن لقمة عيشه، فوجهه شاحب، وعنقه تغزوه التجاعيد، والشمس تركت بصماتها على صفحة جلده المتجعد. وفي هذا دلالة على كثافة الخبرات التي يمتلكها سنّياجو ومعرفته الغنية بالبحر والتحديات التي يواجهها البحارون، كما أنه على دراية كافية بأسرار الصيد وأنواع الأسماك والكائنات البحرية كافة.

فيرى الناظر بوضوح انتماء الشيخ بجسده المرهق وما يحمل من آمال كبيرة إلى الشعب الكوبي، الذي أرهقته ظروف العيش الصعبة وما زال يأمل في تحسينها. لكن يبدو أن سنّياجو لا يرى في السنّ عائقاً أمام سعيه للاستمرار في الصيد وتحقيق مجد يتحدث به القاصي والداني. فالأمل الذي يملأ حنايا سنّياجو ينعكس بريقاً في عينيه، وروحاً فياضة بالسعي والإصرار تخفف من ثقل جسده المتهالك وتدفعه إلى المسير. لكن هل الإصرار وحده كافٍ لتحقيق أحلام سنّياجو؟ (حسناوي، 2019)

يتسم الجو العام للصورة بنوع من الضبابية، مما يوحي بثقل المسؤولية الملقاة على عاتق سنّياجو وهو في مواجهة مستمرة للحياة ومصاعبها، فخلفية الصورة تبدو سوداء قاتمة والسماء ملبدة بالغيوم في دلالة للتقلبات المزاجية والنفسية المعكّرة، حيث ينعكس اللون الأسود للغيوم على مياه البحر، مما يزيد الأجواء ظلمة، ويزيد من وتيرة الخوف وهاجس الحيرة، ومن جهة أخرى يوحي سدول الليل، وانسياب المياه بهدوء إلى حكمة الشيخ العجوز وتجربته الكبيرة في الحياة، وركود سطح البحر يوحي بالسكينة والطمأنينة، كما يحمل في طياته العديد من المفاجآت التي قد لا يتوقعها الصياد نفسه.

وكخلاصة للقول تكتسي الصورة عدة علامات ورسائل تشكيلية وبصرية في إطار مربع، يترجم لنا الحالة النفسية لسنّياجو وهو في عرض البحر، وكأنه عالم جهول سوداوي لا يعرف ما يخبئه له القدر، محتار بين المواجهة والاستسلام.



2.5. العزيمة والإصرار

الفيلم برمته من الوهلة الأولى الى غاية نهايته مشحون برسائل العزيمة والإصرار على مجابهة مشاق ومتاعب الحياة، وهذا ما نستشفه من النص الأصلي للكاتب ارنست هيمنجواي، وهو يقدم لنا روايته الرائعة "الشيخ العجوز والبحر"، وهذا ما سعى المخرج الى رصده وتتبعه عبر عدسة الكاميرا، موحيا بأهم الرموز والدلالات التي تتضمنها الصورة السينمائية في الفيلم.

أ. المستوى التعييني:

تتضمن الصورة عدة رسائل تتراوح بين الشكلية والأيقونية والبصرية على حد تعبير مارتين جولي، والتي يمكن من خلالها تقديم عملية تأويل وتفكيك علامات ورموز الصورة واستنباط أهم الدلالات التي تسوقها الى المتلقي، فالجلي في الصورة للوهلة الأولى بصدد رصد وإحصاء ما يتضمنه إطار الصورة، تظهر لنا بشكل واضح شخصية الصياد سنتياجو تتوسط مربع الصورة في زاوية تصوير عادية مقابلة للمشاهد، بينما تتسم خلفية الصورة بلونين أزرق قاتم وأزرق فاتح، وتظهر في الصورة بعض الأيقونات التي توحى بوجود زورق وبعض وسائل الصيد على غرار حبل الصنارة الذي يمسك به سنتياجو، كما يبرز للعيان جزء من المجاديف المستعملة لقيادة الزورق، وفي الأعلى على اليمين تظهر لافتة على شكل مستطيل رمادية اللون.

ب. المستوى التضميني:

الصورة غنية من حيث الدلالة الرمزية التي ترصدها الكاميرا من زاوية عادية وفي لقطة قريبة، في محاولة التركيز على بنية أو جسم الممثل واستقراء ملامح وجهه، فالرسالة التشكيلية تكشف عما يحمله الإطار المربع

من أيقونات، يمكن الوصول من خلالها لفك شفرات الرموز والدلالات ومختلف الإيحاءات التي تترجمها عدسة المصور من خلال اللقطات القريبة.

في إطار الصورة تبدو لنا خلفية توحى بالجو العام للمشهد الذي يمثل عرض البحر وزرقته، ويتوسط الإطار الشيخ العجوز والزورق المترنح فوق الماء ذو اللون البني، كما يتجلى لنا جزء صغير من مجاديف الزورق ملفوفة بحبال بيضاء، وخيط الصنارة الذي يمسك به الصياد بكل ما أوتي من قوة، في حركة توحى بالعزيمة والإصرار وعدم الرضوخ للاستسلام.

المتمعن في الصورة تخالجه العديد من التساؤلات حول مدلولات الصورة بكل ما تحمله من أيقونات ورسائل بصرية تحاكي معانات الشيخ العجوز وقواه المنهكة جراء صراعه مع سمكة المارلين، لذا نجد بأن لقطة التصوير القريبة ركزت على حركة الجسم المائلة، لتبرز لنا مدى قوة العناد والمواجهة التي أبدتها السمكة العالقة بصنارة الصياد وتأبى الاستسلام، كما تبرز لنا الصورة حركة اليدين المتشبثتين بخيط الصنارة بكل قوة، وكيفية لف الحبل حول الذراعين وكلها دلالة وإيحاء على إصرار الصياد رغم قواه المنهكة، وقوة السمكة التي تسعى جاهدة للفرار، وبالتالي يمكن حصر رمزية ودلالة هذا الثلاثي الصياد والسمكة والبحر في ما يلي:

. سنتياجو: وتمثل هذه الشخصية العجوز رمزا للإنسان الصامد المكافح الذي يأبى الاستسلام مهما بلغت قساوة الظروف التي تواجهه في عرض البحر، وهو بذلك يجسد الإرادة الحرة والإصرار على تحقيق الأهداف حتى وإن كانت شبه مستحيلة.

. السمكة المارلين: ترمز للقوة الطبيعية، والكون الغامض الذي لا يمكن التنبؤ به، إنها قوة أكبر من الإنسان ولكنها في الوقت نفسه تستثير تحديه وإعجابه.

. البحر: يرمز للحياة نفسها، بجمالها وقسوتها، بفرصها وتحدياتها، انه رمز للوجود الانساني، ومصدر الحياة والموت في الوقت نفسه.



3.5. الانهيار والصمود

الصورة معبرة جدا عن حجم التعب والمعاناة التي واجهت الشيخ العجوز سنتياجو، والمدة الطويلة التي قضاها في عرض البحر، وعلامات الحر الشديد بادية على بدنه ووجهه المسود، وبالرغم من ذلك بقي متشبثا بصنارته مترنحا بين الانهيار والصمود.

أ. المستوى التعييني:

في محاولة لرصد عناصر الصورة تتجلى لنا بكل وضوح صورة الصياد العجوز سنتياجو وسط المربع، ملتقطة من زاوية تصوير عادية في مواجهة المشاهد، يظهر قميصه مفتوح شبه ممزق، ويضع على كتفه قطعة قماش، ويلف يده اليمنى بقطعة أخرى بيضاء، ويمسك بخيط الصنارة ورأسه يترنح للأعلى يكاد سيتسلم للنوم، ويظهر في الصورة جزءا من زورقه المتواضع، وخلفية الإطار شبه سوداء.

ب. المستوى التضميني:

تكشف لنا الصورة عن بعض الرسائل منها التشكيلية والبصرية والأيقونية التي تدل على الكم الهائل من التعب والمعاناة التي لحقت بالصياد، وترمز الى الانهيار من جهة والصمود من جهة أخرى، فوضعية جسمه تسوق لنا حجم الإنهاك وقلة النوم جراء حرصه على فقدان صيده الثمين، وتوحي ملامح وجهه والتجاعيد المرتسمة عليه الى العطش وشدة الحرارة التي أثرت على بدنه وجعلته عرضة للتلاشي والانهيار، غير أن حركة يديه تدل على يقضته التي تكاد تنطفئ لكنه يسعى جاهدا الى مقاومة النوم والتعب رافضا الاستسلام للهزيمة. ترمز قطعة القماش الى قدرته على التحمل والصبر، فبعد أن مزقت الحبال يديه جراء تشبثه بها وقوة السمكة وعنادها عمد الى لف يده بقطعة القماش حتى يتفادى جروحا أخرى، ويتمكن من المقاومة، ونفس الشيء ترمز إليه قطعة القماش الأخرى على كتفه حتى لا تتأثر بالجروح وهو يلف حبل الصنارة عليها نتيجة القوة الهائلة التي أبدتها سمكة المارلين في المقاومة.

ترمز خلفية الصورة الى بداية اضمحلال قوى الصياد، من خلال اللون الغامق الميال الى السواد في انحدار الليل وتلاشي النهار، وفي ذلك مقارنة في تلاشي قوى الصياد وبداية استسلامه للنوم والتعب، مثل تواني النهار أمام سدول الظلام.

6. الخاتمة

يشكل الفن السينمائي إحدى أبرز محطات التعبير التي تخالج النفس البشرية، وتعكس الأوضاع الاجتماعية، عبر رسائل تشكيلية وأيقونية ولغوية، تحت تأثير الصورة السينمائية التي يتضمنها الفيلم، باعتبار الصورة السينمائية الوحدة الأساسية التي تتبنى عليها اللقطة من زوايا تصوير عديدة، تعكس لنا عدة دلالات رمزية لفهم مغزى ومعنى الفيلم، وما يود المخرج والسينارست تسويقه للمتلقي على شكل رسائل بصرية، يمكن تفكيك رموزها ودلالاتها من خلال عدة مستويات على غرار المستوى التعييني والتضميني المنتهج في مقاربات "مارتين جولي"، وهذا ما اعتمدناه في دراستنا هذه أثناء عملية تحليل بعض الصور التي جاءت في متن الفيلم، وهذا ما ساهم في تفسير وتأويل الجو العام وبعض المشاهد المشحونة بالعواطف، وفتح المجال أمام عدة قراءات متعددة انطلاقاً من رواية الكاتب إلى الصورة السينمائية في الفيلم، لتوصل في الأخير إلى بعض النتائج التي أثمرت عنها الدراسة والمتمثلة في:

- . فعالية مقارنة "مارتين جولي" وملائمتها لتحليل صور فيلم "الشيخ العجوز والبحر".
- . جاءت معظم الصور المعالجة مشحونة بالرسائل البصرية والتشكيلية والأيقونية.
- . استخلاص أهم الدلالات والرموز التي تتضمنها الصور السينمائية في الفيلم.
- . العزيمة والإصرار مفتاح الفرج وهذا ما ساقته لنا الشخصية الرئيسية بطل الفيلم "سنتياجو".
- . عدم الاستسلام أمام الظروف الطبيعية القاهرة ومواصلة المواجهة والمقاومة إلى آخر رمق.

المراجع

1. مارتن جولي، مدخل إلى تحليل الصورة، ترجمة: جيهان عيسوي، إصدارات الأكاديمية للفنون، فرنسا، 2011.
2. نهلة عيسى، أساليب تحليل الصورة، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، الجمهورية العربية السورية، 2020.
3. مزنة حسناوي، الشيخ والبحر: كيف يمكن لرواية أن تيرر الاستعمار والهيمنة، <https://www.aljazeera.net/midan/intellect/literature/2019/7/12/>، تاريخ الإدراج: 12 جويلية 2019، تاريخ الاطلاع: 20 سبتمبر 2024
4. نوال العلي، مجلة الغد، ثقافة فيلم الشيخ والبحر، /ثقافة/فيلم-الشيخ-والبحر-قصة-الصراع-مع-الطبيعة-الغامضة- <https://alghad.com/section-150/135227>، تاريخ الإدراج: 25 يوليو 2015، تاريخ الاطلاع: 15 سبتمبر 2024

د. نوري بن حنيش

الدلالة الرمزية للصورة السينمائية: مقارنة سيميولوجية لفيلم "الشيخ العجوز والبحر"